بصورة نهائية، بالصيغة اللبنانية لتعايش الطوائف، بعدما قوّضت أركانها الحرب الأهلية اللبنانية طيلة سنوات، لاسيما اذا رأت طائفة في هذا الاجتياح «انتصاراً» لها على باقي الطوائف، وعملت على هذا الأساس، وتصرفت بوحي منه.

ويستدعي الوصف الموضوعي تأكيداً على أن الغالبية الساحقة المؤيّدة لهذا الاتجاه، انما تشكلت في أوساط الطوائف الاسلامية؛ وأن مواقف هذا الاتجاه الثاني لم تستطع اختراق أوساط الطوائف المسيحية، بالقدر الذي استطاعه بالمقابل الاتجاه الأول، كما أشرنا آنفاً؛ وأن من حمل هذه المواقف من المسيحيين، انما كان من أوساط حزبية وطنية الانتماء والتوجه، صريحة في تأييدها الوطني الحزبي، وليس الطائفي.

واذا كانت أسباب عدّة تقف وراء هذا الأمر الواقع، وتستوجب أسئلة عدّة عن أشكال الصراع الاجتماعي القائم في المنطقة، والأقنعة التي يستتر خلفها لجهة النزعات «الاكثروية» و«الاقلوية» المستندة الى صراع «الاكثرية» و«الأقلية» الطوائفي، التاريخي الأسباب والآثار، والحاجب وراءه صراعات اجتماعية طبقية حادة الأثر والتأثير لا يمكن نكرانها، مهما كانت أشكال استثمارها وتمويهها؛ الا أنه، بالمقابل، يجب ألا يستدعي هذا الواقع القائم، أي افتئات أو تجنٍ أو تعسفٍ في القاء الأحكام الجائرة على هذه الطائفة أو تلك، بسبب عدم مناهضتها الواضحة والصريحة للغزو الاسرائيلي، ودون عودة علمية موضوعية الى الأسباب التاريخيّة التي أدّت بها الى اتخاذ مثل هذه المواقف.

ومما لاشكّ فيه، أن همجية الغزو الاسرائيلي والوحشية التي أظهرها تجاه الأماكن التي قاومته وناهضته و«خالفته»، قد زادت من حدّة العداء له في هذه الأوساط، وعمّقت مستوى وعيّها لأبعاد صراعها التاريخي معه؛ واذا كانت قد خاضت حربها معه كـ «جزيرة منعزلة» في بحر الصمت العربي المقرون بالتواطؤ في غالب الأحيان، واذا كانت قد خرجت «منهكة» من صراع غير متكافىء معه ــ نتيجة عزلتها الشاملة على مستويات متعدّدة ولأسباب عدّة ــ الا أنها بتصدّيها للغزو الاسرائيلي و«مخالفتها» له، قد خلّفت وراءها، برغم غبار الهزائم، أثراً لا يمحى حول وجوب استمرار القتال والمناهضة للوجود الاسرائيلي، المتخذ ــ تحديداً في هذه الحرب وبأجلى مظهر ــ صيغة رأس حربة الامبريالية الاميركية وذراعها الضاربة وعصاها الغليظة؛ واذا بهذه البديهيات تكتسب بريقها من جديد، بعدما كان الصدأ قد غراها لشدّة الاهمال المتعمّد غالب الأحيان.

الاتجاه «المهادن» للغزو الاسرائيلي: تشكّل هذا الاتجاه في سياق تاريخي طالع من رحم الحرب الأهلية اللبنانية، ومستند الى نزوع استسلامي مهادن يعمّ المنطقة العربية من المحيط الى الخليج، برزت مظاهره في صورة العجز عن مقاتلة اسرائيل والانتصار عليها والاقتناع بكونها أمراً واقعاً لا يقبل الانكار، وتجلت صريحة بلا حياء، مع «معاهدة السلام» التي وقعها أنور السادات.

واذا كنا قد أشرنا آنفاً الى أن بحث الأسباب التي أبرزت هذه المواقف جمعاء تخرج عن أهداف هذا المقال، ويضيق بها المجال، الا أننا نشير سريعاً، الى كون هذا التيار قد تنامى في ظل الشكوى المستمرّة، مما أسمي بـ «التجاوزات» و«الأخطاء»، وكبر وتضخم نتيجة عدم معالجتها والتصدي لها بحزم، رغم استمرار النقد لها من فئات مناهضة للمقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية المؤيّدة لها، وأحياناً أخرى كثيرة من فئات